ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون

رئيس مجلس الادارة رئيس التحرير فخري كريم

"22عاماً من التعبير الحر والمسؤولية الوطنية"

العدد (6069) السنة الثالثة والعشرون - الاثنين (19) كانون الثاني 2026

www.almadasupplements.com

ذاكرة عراقية

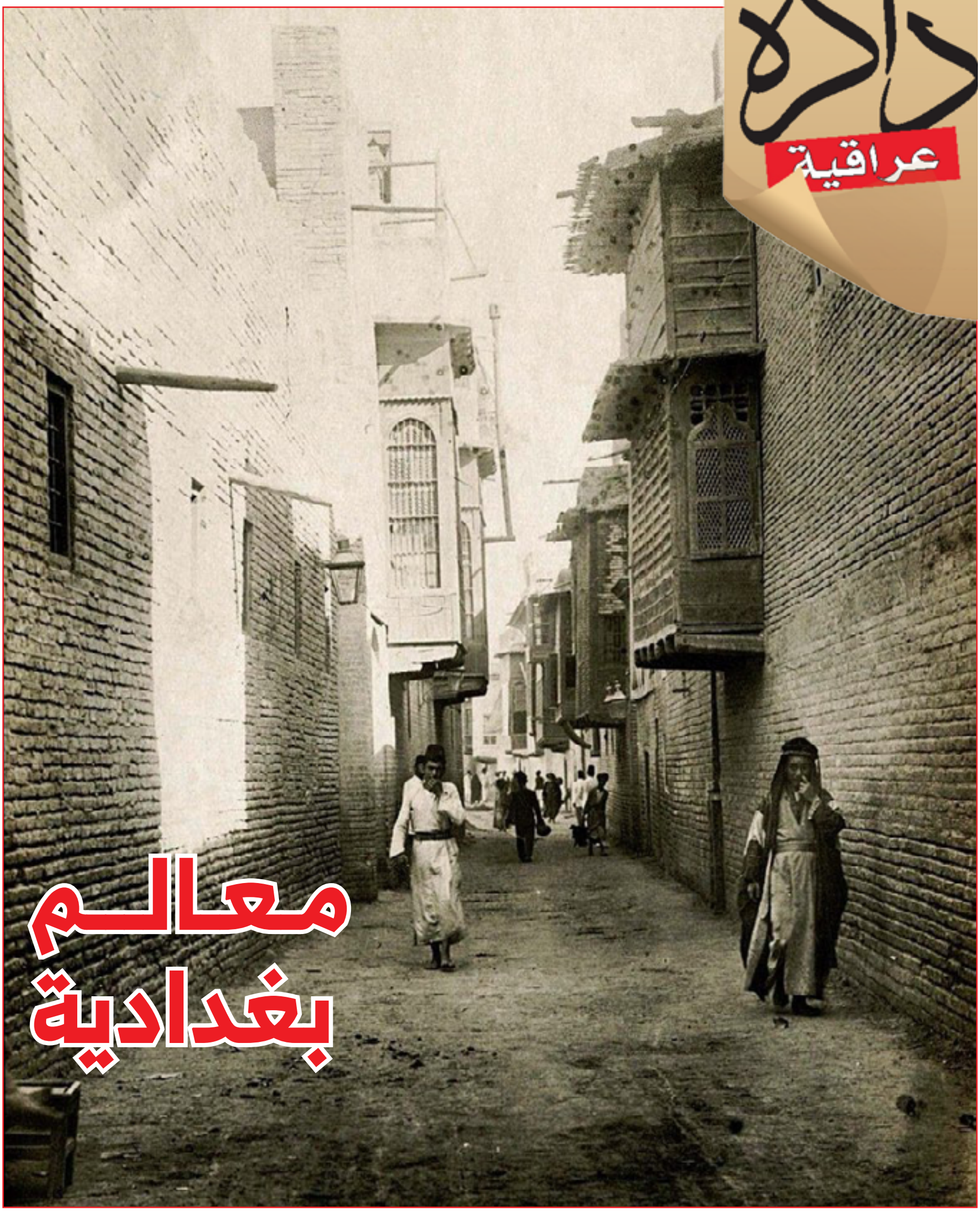

معالم بغدادية

البصرة وفقا للمصادر العثمانية

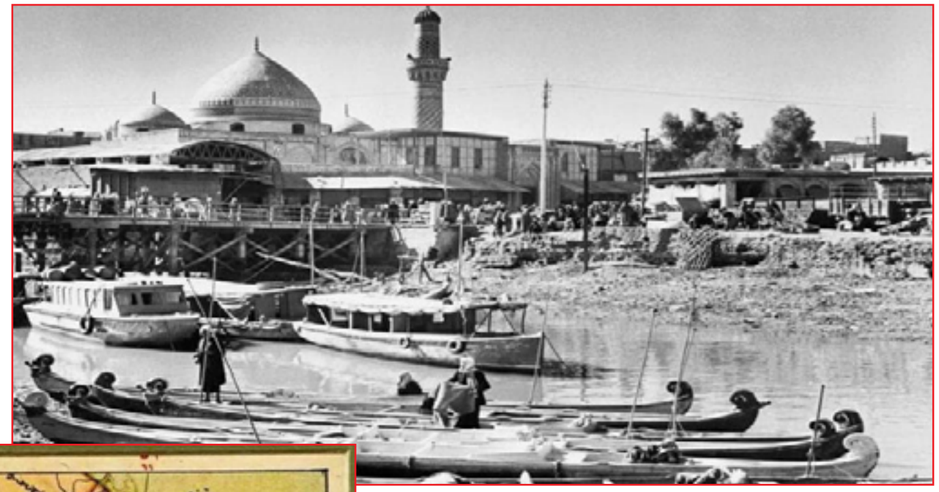

كمال خوجه اوغلو

بناه عزيز أغا المتسلم في القرن التاسع عشر وهو من عبيد داود باشا ومن بناء حجري فاق عليه بجمال منظره. وقد أدى إعطاء حريات وصلاحيات واسعة للنصارى وخاصة للأوربيين منهم في عهد أفراسياب ومن جاء بعده من أبنائه وزيادة أهمية البصرة تجاريا تبعا لذلك، ولتوريد التجار الهولنديين والإنجليز والهنود كميات كبيرة من البضائع إلى هذه المدينة كل عام إلى إنشاء مستودعات وخانات، وخصصت من أجل ذلك أحياء مقام علي في الضفة الشمالية من المناوي ونهر العشار مقابل الشط وقلعة قبان قبالة مقام علي. ومع ذلك يمكننا أن نقول في هذا الشأن بأنه تمت الاستفادة أيضا من قلعة كردلان إلى الجانب الأيسر من الشط وجنوب قبان قبالة المناوي (قارن، قوردلان، سياحتنامه حدود، مكتبة بايزيد، مخطوط باللغة التركية رقم ٤٩٣٥، و بوغوردلان، جهاننما) (وخلال سيطرة الإيرانيين على البصرة لأول مرة(١٦٩٦-١٧٠١) أنشأوا فيها قلعة أخرى، وضع فيها بعد استرداد المدينة لحمايتها مائة من الانكشارية ومدفعان) من جهة أخرى وفي القرن الثامن عشر قدم إلى المدينة أعداد كبيرة من التجار من استنبول وإزمير وحلب والشام ومصر ومن المدن الكبرى الأخرى في الإمبراطورية لتبادل السلع مع التجار الأوربيين كما أن قسما منهم نقل بضائعه عبر نهر دجلة بالرغم من الصعوبات والمصاريف الباهظة (Niebuhr.Voyage en Arabie.Amsterdam.1780.II.172 v.d).

وفي القرن السابع عشر كانت الرسوم الجمركية بالنسبة للجميع ٥٪، ولكن تدفع أيضا لأمير الأمراء نسبة ٤٪ من الرسوم. هذه الرسوم التي يأخذها من مبيعات الجمال والتمر تحقق له دخلا كبيرا في العام الواحد. وأخيرا أصبحت رسوم الجمارك على الأوربيين ٣٪ وعلى الأمم الأخرى ٧٪ (Niebuhr، نفس المكان).

وفي القرن الثامن عشر كانت البصرة مدينة داخل سور له خمسة أبواب، تتشكل من سبعين حيا وعدد سكانها ما بين ٤٠ ٥٠ ألفا. ويقع بابان من هذه الأبواب في الجانب الشمالي وهما دروازة الرباط أو باب الرباط وباب بغداد. وأما الأبواب الثلاثة الأخرى فتقع في الجانب الغربي والجنوبي وهي دروازة الزبير أو باب الزبير ودروازة الشراجي ودروازة المجموعة. والبصرة التي تحوي المناوي ومقام علي، وأحياء بأسماء كثير من الشيوخ بالإضافة إلى محلة الأفغان ومحلة اليهود- من أحياء صغيرة وكبيرة يتراوح عدد بيوتها بين ١٠-٢٠ وبين ٣٠٠-٤٠٠ بيتا- كانت في هذه الفترة كما ذكرها نيبوهر قد فقدت أهميتها. والمبنى الذي سبق أن أقام فيه أمير الأمراء ثم سكن فيها المتسلم على ضفة نهر عشار. وأقيمت بجانبيها وكالات تجارية فرنسية وإنجليزية. بينما كان الباشا القبطان يقيم في المناوي (نفس المصدر) والباشا القبطان المعين من قبل استنبول وتحت إمرته ما بين ٥٠-٦٠ من الزوارق، لا تنحصر مهمته على ضمان الأمن في نهري دجلة والفرات، بل يحمي أيضا خليج البصرة المفتوحة على القرامطة. واحتياجات الباشا القبطان وهذا الأسطول تغطيها الواردة المرسلة من الأقضية الكبيرة التابعة لولايتي بغداد والبصرة. وخلال الفترات التي أصبح الحكم بيد ولاة بغداد وصارت البصرة تدار من قبل متسلم، صارت الواردات ترسل إلى الولاة وأصبح "الباشوات القباطنة" بمنزلة الموظفين لديهم، يتلقون أوامرهم من ولاة بغداد على غرار المتسلمين. ومن الطبيعي أيضا أن يتعرض الأسطول في هذه الفترة إلى الانكماش والتآكل كما وكيفا.

وكان في البصرة إلى جانب المتسلم ومدير المال التابع لوالي بغداد مسئول عن الجمارك ورجل قوي النفوذ يعرف بين السكان المحليين باسم "أجلّ البلد" وكان عضوا في الديوان لا يقطع المتسلم بأمر إلا بعد أخذ رأيه وموافقته. كما كان هناك قاض معين من قبل استنبول أو نائبه ونقيب للأشراف الذي يتبعه كافة العلماء والأسياد والأشراف، ومفتي الأحناف وهو منصب وراثي يتبعه الجميع. ثم استحدث منصب مفتي الشافعية اعتبارا من عهد سليمان باشا الكبير. وبعد احتلال الإيرانيين قدم الشيعة أيضا إلى البصرة، وبعد فترة ارتفعت نسبة السنة إلى ٣٠٪ وفي أواخر القرن التاسع عشر ارتفعت هذه النسبة إلى ٥٠٪ (سالنامة البصرة، ١٣٠٩) ومع عدم تشكيلهم الوسط كان في البصرة الانكشارية أيضا. لكن أغوات الفصائل كانوا بقلعة القورنة بشكل عام. وعلى نحو ما كان في مركز الدولة فإن هذه المؤسسة العسكرية اعتراها الفساد في البصرة أيضا وجند المتسلم كثيرا من المجرمين والحرامية على أنهم من القوات المحلية لتحقيق أغراضه الشخصية. ومع ذلك فإن الحرفيين أيضا كانوا ينضمون إلى هذه المنظمة كيلا يتعرضوا للاعتداء والنهب.

وكما كانت في السابق فإن البصرة بعد دخولها تحت الحكم العثمانية تعرضت بين حين وآخر لاعتداءات القبائل المجاورة وخاصة اثنتين منها وهما قبيلة كعب وقبيلة المنتفك. وكانت هذه الاعتداءات تستهدف أكثر ما تستهدف أشجار النخيل الشهيرة في البصرة التي تزيد عن عشرين نوعا، وكذلك سفن التجار التي تمر من شط العرب. فكانت قبيلة كعب تجبر السفن المحملة بالبن على دفع ضريبة عالية لدى مجيئها، وتجبرها على شراء تمرها لدى عودتها، حتى إن شيخ هذه القبيلة أوقف في عام ١٧٦٥ عددا من السفن الإنجليزية وأوقع بعض الحوادث. وكان أتباع هذه القبيلة خلال الحكومات الضعيفة يقومون بأعمال النهب، ويدخلون في صراع مع قبيلة المنتفك التي تعتبر نفسها صديقة للبصريين لكنها في حقيقة الأمر ترى أن أشجار النخيل هي ملكها بسبب تفويض مقاطعتها لشيخ القبيلة (Niebuhr، نفس المصدر ص ١٩١، و Hurat، نفس المصدر ص ١٤٩) كما كانت قبيلة المنتفك تعترض طريق السفن المتجهة إلى بغداد وتأخذ منها الإتاوات. وفي الحقيقة فإنه بسبب عدم الأمان كانت السفن تبحر في مجموعات تصل إلى ما بين مائة وخمسين ومائتي سفينة لكنها تدفع للقبائل في ١٣ نقطة ضرائب تعرف بالخوة (سالنامة البصرة، ١٣٠٨) ومنذ القرن السابع عشر أعطيت مزارع النخيل لشيخ قبيلة المنتفك على شكل مقاطعة. ولأسباب اقتصادية وإدارية صارت هذه القبيلة تدعي بحق لها على البصرة. ولذلك صاروا يعلنون التمرد والعصيان بين فترة وأخرى. فإذا ما تعرضوا للملاحقة هدموا السواقي التي تعرف بسدود الجزائر وهي نهر القرات ولجأوا إلى الأهوار التي تتشكل نتيجة غمر المياه لهذه المناطق، وبذلك يصعب القيام بعمليات ضدهم بل ويستحيل في بعض الأحيان. وأخيرا استطاع والي بغداد رشيد باشا أبو نظارة من انتزاع عدد كبير من هذه المقاطعة من يد المنتفك وجعلها تحت سلطة الحكومة(١٢٧٣=١٨٥٦/١٨٥٧) كما انتزع والي بغداد نامق باشا القسم المتبقي لديهم وجعلها في أموال الخزينة تحت إشراف متسلمي البصرة(١٢٨٣=١٨٦٦/١٨٦٦) وفي النصف الأول من القرن التاسع عشر شهدت البصرة مزيدا من التراجع والتأخر وانخفض عدد سكانها كثيرا بسبب انتشار الوباء بصورة متكررة وزيادة نسبة الإصابات بالحمى بسبب المستنقعات. ففي النصف الأول من هذا القرن نجد عدد بيوت البصرة ألفين ستمائة منها مبينة من الإسمنت والباقي من سعف النخيل التي تعرف بالشرفة، وعدد سكانها لا يتجاوز عشرة آلاف(محمد خورشيد، نفس المصدر، ص ٥).

عن (منتديات نور الادب)

نص نادر عن تاريخ الناصرية

إعداد: ذاكرة عراقية

خواطر في المنتفق وديارهم

وقع بيدي نهار أمس العدد السادس من مجلتكم (لغة العرب) فرأيت في مقالة حسناء مذيلة باسم الشيخ محمد رضا الشبيبي الكاتب النجفي الشهير، وعنوانها (حول المنتفق) فبدا لي في أثناء مطالعتها بعض الخواطر فأحببت أن أبديها للقراء لاعتقادي المكين أن حضرة الكاتب ممن لا يخاف التعقيب على كلامه؛ لاسيما وقد قال في مستهل مقاله انه ممن (يرغب في الوصول إلى الحقيقة التي كثيراً ما توجد في وسط الاختلافات)قال حضرة الشيخ الكاتب: (كانت تتجاذب طرفي الفرات الأدنى منذ عهد غير قريب عميرتان من أكبر عمائر العراق وهما: خزاعة...) ونسي ذكر الثانية التي هي عميرة المنتفق. ولعله أغفلها عمدا لاشتهار أقامتها في تلك الربوع، وقد مر عليها في مطاوي البحث في صدره وحشوه وآخره.

وقال حضرته: إن الغراف لم يكن في الأزمنة الخالية من ديار المنتفق وقد صدق. وأزيد على ذلك: إن ديار ربيعة تمتد حتى اليوم إلى نحو نصف المسافة الموجودة بين الحي وقلعة سكر على عودة الغراف وقد كانت عميرة ربيعة في صدر القرن التاسع عشر للميلاد محتلة الغراف، ثم وقع نزاع بين عميرتي ربيعة والمنتفق أدى إلى انجلاء أمير ربيعة عن تلك الديار إلى موطن أسمه شادي.

ومن الأقوال العاثرة المعروفة عند عمائر تلك الأصقاع (وأظنه من أقوال ضرب من أغاني الموال المسمى في لغتهم أبوه دية، بكسر الدال المهملة وتشديد الباء المثناة المفتوحة وهاء في الآخر: (للي يريد البرص ما ينزل بشادي. وينزل بين العبد والقارية.

(فالبرص (بضم الأول والثاني) تل يقرب جداً من مدينة الناصرية. وشادي من ديار ربيعة واقع بين الكوت والبغيلة (مصغرة) على العدوة اليسرى من دجلة العظمى. والعبد (بفتح العين وتحريك الباء بحركة مشتركة) تل يبعد عن شرقي قلعة سكر نحو خمسة عشر كيلو متراً. ويتوسع في معناه فيطلق اللفظ على الأرض المحيطة به. والقارية (وتلفظ الجارية) اسم ترعة تسقي هذه الأرض.

وذكر حضرة الشيخ: إن ربيعة لا زالت محتلة من الغراف فراسخ تنتهي بأرض يقال لها البسروقية على خمس ساعات من الحي. ولا غرو انه قصد من قوله الحي: شماليه.

وقال: إن كثيراً من العشائر النازلة في صميم الغراف هي من ربيعة لا من المنتفق...

الخ. وأظن إن في هذا الكلام ما يناقض سابق كلامه بعض الأحيان. نعم أن كثيرا من العشائر النازلة في صميم الغراف هي اليوم من ربيعة كما سبقت الإشارة إليه، وصرحنا به نحن أيضا، لكن فيهم من المنتفق أيضاً لأن ربيعة تقسم إلى ثلاث عشائر وهي:

أولا: العشائر المعترفة رأساً لأمير ربيعة ويطلق عليها اسم بني عمير (بإسكان العين وميم مفتوحة بإمالة) وقريش (وتلفظ بالكاف الفارسية المثلثة وإسكان الأول وفتح الثاني فتحاً بإمالة).

ثانيا: مياح (وزان شداد) وهي تحت زعامة أحد أبناء بيت ناصر من الشحمان (بتحريك الأول حركة مشتركة والباقي وزان سكران.

ثالثا: السراج (وزان شداد. والبعض يحملون الجسيم ياء فيقولون السراء) وهم تحت زعامة أحد أبناء بيت كليب (وتلفظ جليب بجيم مثلثة فارسية).

وأما عشيرتا عبودة وبني ركاب فبعد ان خاصمتا آل السعدون على الإمارة وخفقتا في سعيهما، انضمتا إلى عشائر المنتفق، وقطعتا كل علاقة مع ربيعة، وأخذتا ضرائب ورسوم يؤديهما عشائر المنتفق للوالي المذكور. بل أخذت تؤدي حتى الضرائب التي كانت معروفة باسم (الحصان) وهو ما كان مكلفاً بتأديته شيخ المنتفق من الجياد إلى والي بغداد. ويخرج من هاتين العشيرتين فخذا العائد والصالح من بني ركاب. ذلك لقربهما من عشائر ربيعة، ولهذا بقيتا منقادتين لزعامة آل السعدون من باب السياسة وتسهيل المعاملات مع مجاوريهم.

وأما عشيرة مياح (وهي التي سبق الكلام عنها) مع جميع افخاذها، وآل غريب (وهي فرقة من هذه العشيرة)، وعقيل (وهي عشيرة من عشائر السراج)، والسراج (جميع افخاذها، وكنانة (تلفظ جَنانة)، فكلها من الأحياء المنتسبة رأساً إلى أمير ربيعة. وعليه: فقد رأينا بعضهم لا ينتسبون إلى ربيعة. ولهذا وجب التصريح بهم وأن كانوا قليلي العدد بين الجم الغفير حرصاً على الحقيقة.

وأما الناصرية فقد ذكر الكاتب اسم مؤسسها وبانيها، وهو ناصر باشا السعدون ولم يزد على ذلك ولهذا أضيف على ما ذكر ما يأتي: إن الذي خططها هو المهندس البلجيكي المسيو جول تلي ولم يعرف على التحقيق هل تخطيطها؛ ألا أن الحجر الأول الذي وضع لأساس دار الحكومة كان في سنة ١٢٨٥ مالية الموافقة لسنة ١٢٨٦ هجرية و ١٨٦٩ ميلادية أي في عهد ولاية الصديق مدحت باشا وعلى ترغيبه. وكان أول من بنى فيها داراً للسكنى نعمة الله بن أكوبجان بن سركيس بن أكوبجان بن مقصود المعروف بنعوم سركيس الحلبي الأصل، الأرمني العنصر، الكاثوليكي الطائفة. ثم بنى فيها أسواقا وخانات وقهوات. وقد ولد نعوم سركيس في بغداد سنة ١٨٣٠ مسيحية. وكان والده قد هجر حلب لكثرة الزلازل التي كان وقع فيها في أوائل القرن الميلادي السابق إلا قاعاً صفصفاً ذهبت بالحلة. وقد أصبح نعوم سركيس من أغنى أغنياء بغداد وأكثرهم مالاً وعقاراً. وقد توفي في أوائل القرن الحالي.

وقال حضرة الكاتب الفاضل: إن الغراف يصب في موضعين: أعظمهما مصب الحمار (وزان شداد) قرب الناصرية وهو مضحل ضيق. ولم يبين المصب الثاني. قلت: أما مصب الغراف في هور الحمار فهو مصب شعبة الغراف المسماة (بالبدعة) وسيأتي البحث عنها. وهذا الموقع يبعد عن الناصرية بما يزيد على أربعين كيلومتراً. وأما المصب المضحل فهو غير الذي ذكره حضرة الكاتب بل هو المصب المعروف (بشط الازيرج) المختلط ماؤه سابقاً بماء جدول (السديناوية المتفرع من الفرات. وقد أضحل اليوم كل الاضمحلال.

وذكر حضرة الكاتب النحرير الشرطة فقال عنها: وعلى هذه الشعبة الغيرة بلدة الشطرة. قلنا: الأمر على خلاف ما ظهر له فأن ما سماه شعبة الغاة هو الغراف الأصلي عينه وقد كان عامراً حين شيدت بلدة الشطرة الحالية وقد كانت الشطرة قبل ذلك العهد على جدول صغير أخذ من الغراف تبعد عن موقعها الحالي نحو كيلومترين من جهة الناصرية وهذا الجدول الخليلية فلما كانت أوائل متصرفية ناصر باشا تحقق أن هذا الجدول اخذ بالاندراس وأن احسن موطن تنقل إليه الشطرة هو هذا الذي حولت أليه. وكان الذي حسن في عين ناصر باشا هذه البقعة العذبة هو مستشاره وصديقه الوفي الأمين نعوم سركيس المذكور آنفاً. ومن بعد أن تم الاتفاق على هذا الرأي شيد نعوم دوراً عديدة وأسواقاً وخاناً وقهوات ثم مسكناً له ولاتباعه. ثم عمر بيوتاً أخرى وأهداها إلى بعض وجوه الشطرة القديمة، تشويقاً للانتقال إلى الشطرة الجديدة وقد تم بناؤها بعد إتمام أبنيته في الناصرية. ولم يكن اسمها كذلك بادئ بدء، بل كانت تسمى (بالفالحية) نسبة إلى فالح باشا (وهو فالح بك يومئذ) أكبر أنجال ناصر باشا. غير ان اسم الشطرة غلب عليها وهي تسمى كذلك إلى اليوم.

وأما ما سماه حضرة الشيخ بالشعبة الكبرى وقد قصد بها (البدعة) فهي تبتلع اليوم نحو ثلاثة أرباع مياه الغراف أو اكثر. فهذا الجدول على ما وراء الرواة الثقات لم يكن في غير القرن الميلادي السابق إلا قاعاً صفصفاً أهداها أحد أمراء ربيعة لآل السعدون (ولو الهب هو خال الموهوب له، وظنه الشيخ عيسى من آل السعدون) فشق لها نهراً اتسع شيئاً فشيئاً لانحدار مياهه في أرض مطمئنة، فأصبحت الآن من أعمق مزارع تلك الجهات.

وبخصوص قلعة سكر أقول: إن اسمها الأول كان (العلة) (بكسر العين وتشديد اللام المفتوحة) وكان هذا الاسم معروفا قبل نصف قرن. وسبب هذه التسمية هو انه كان في تلك البليدة قلعة مبنية من الطين يحتلها جماعة من الجند صدا لغارات الأعراب فكانت في وجههم كالعلة في البدن؛ وما أولئك الأعراب إلا العشيرة النازلة في العدوة اليمنى من أبي جحيرات واسمها عشيرة الجابر. ولهذا نسمع إلى اليوم من يسميها بالعلة وهو مع ذلك نادر.

وأما ما يتعلق بأهل الحي فاغلبهم أهل زراعة؛ وإذا قلت نصفهم فلا أخطئ ومما احب أن أذكره هنا هو بعض الإفادات عن الغراف لكثرة وروده على الألسنة وفي هذه المجلة فأقول: للغراف اسمان (الواحد المعروف) وقد نوهت به هذه الصحيفة في مقالتها عن المنتفق، وهو الاسم الكثير الورود في سجلات الحكومة المعروفة (بالدفتر الخاقاني)، والمسرهد لغة: المنعم والمغذي، ولا أرى كيف أن هذا المسمى يوافقه هذا الاسم. على أن الذي يتبادر إلى الذهن هو غزارة أنماء أرضه وكثرة مياهه الوافرة الغزيل الناعمة، فإذا زدت على ذلك قناعة الأعراب اتضح لك سبب تسميته المزيد. وهناك وجه آخر مأخوذ من قولهم: رجل مسرهد أي سمين. وسمن مجاري المياه بمعنى غزارة تدفقها من باب المجاز أمر مشهور. وإن لم تقنع بما تقدم شرحه فلك وجه ثالث وهو أن المسرهد سمى كذلك من قولك: ماء مسرهد أي كثير، وعليه فقولك نهر مسرهد هو من مائتي واحد أو واد واحد.

وأما اسم الغراف الثاني فهو الحمر وزان الجدل وهو تخفيف الحمر وهذا اللفظ يعرفه بعض عشائر لواء الديوانية. وسموه كذلك لحمرة غربل مائه.

وأما شط العمى (بفتحتين وهو تخفيف الأعمى) فقد كان قديما الشعبة الأصلية؛ وعلى عدوته اليمنى قلعة مبنية على اسم العقار (وزان شداد) وهو أحد أبناء الإمام موسى الكاظم؛ وكانت السفن تجري في هذه الشعبة من النهر إلى أمد غير بعيد؛ وأظنه لا يتجاوز ربع القرن. وكان محمول كل سفينة من هذه السفن خمسين ألف كيلو غرام.

وأما قول حضرة الكاتب البارع أن الغراف ينقسم قرب الحي. فلا جرم انه قصد بكلامه هذا أن الانقسام يحصل على بعد نحو كيلومترين ونصف من الحي جنوبا. وعلمه فوق كل علم وهو الهادي إلى الصواب.

منتفقي

مجلة لغة العرب العدد ١٢ - بتاريخ: ٠١ - ٠٦ - ١٩١٢. ان توقيع منتفقي هو للمؤرخ العراقي يعقوب سركيس (ت١٩٥٩)، وهذا البحث نشر فيما بعد في الجزء الثالث من كتابه (مباحث عراقية)؛ ذاكرة عراقية.

معالم بغدادية

د. إحسان فتحي

لغز اهم دار بغدادي على نهر دجلة في السنك وقصة مستاجره القنصل الالماني (كارل ريجارز) في ١٨٩٤؛ منذ فترة طويلة، تزيد على ٤٥ سنة، وانا احاول، دون جدوى، معرفة صاحب الدار البغدادية الافخم المطلة على نهر دجلة بالقرب من جنوب جامع السيد سلطان علي. هذا "القصر" المهيب تبلغ جبهته النهرية حوالي ال ٦٠ مترا وعمقه لايقل عن ٣٥ مترا، ويحتوي على حوش داخلي جميل باشجاره، وبالتالي فان مساحته الارضية كانت لاتقل عن ٢٠٠٠ متر مربع وهي مساحة هائلة اذا ما قورنت بالقصور النهرية الاخرى في بغداد. واذا حسبنا مساحة طابق السراديب والارضي والعلوي فان مساحة البناء المشيدة ستبلغ اكثر من ٥٠٠٠ متر مربع؛ علما ان الجبهة النهرية لدار النقيب عبد الرحمن الكيلاني (اول رئيس وزراء في العراق) المجاورة هي بحدود ٣٠ متر، وجبهة بناية المقيمية البريطانية القريبة والمشيدة في ١٩٠٥ لا تزيد على ٤٠ متر.

هذا الدار العظيم، والذي يعتبر مثالا متميزا ونادرا جدا للعمارة التقليدية البغدادية، قد شيد على الاغلب بحدود ١٨٧٠ من قبل احد اهم الشخصيات الثرية في بغداد ويبدو انه هدم في الثلاثينات من القرن الماضي، واستبدل ببيوت عادية. وقد يكون السبب هو نزاع ورثة المالك بعد وفاته كما هي العادة حتى الان وعدم رغبة احد الورثة بشراء جميع الحصص الاخرى والاحتفاظ بالدار الاصلي. انا لم انجح في العثور على اسم المالك الاصلي الذي شيد هذا الدار الرائع لكن خارطة بغداد الالمانية المؤرخة في ١٩١٠ تشير الى انه كان مشغولا من قبل القنصل الالماني (كارل ريجارز) والذي عمل قنصلا لبلده خلال الفترة ١٨٩٤-١٩٠٧. وتشير بعض الكتابات حينذاك بان هذا الشاب الالماني، والذي كان مقيما في بغداد وينتمي الى عائلة المانية نبيلة ومعروفة، كان قد اتهمته عائلة بغدادية بالاعتداء جنسيا على ابنها الذي كان تلميذا في مدرسة الاباء الكرمليين. سببت هذه التهمة الشنيعة فضيحة كبرى في المجتمع البغدادي وضجة غير مسبوقة الا ان التحقيقات برأته من هذه التهمة، وقامت الحكومة الالمانية بتعيينه قنصلا لها في نفس العام تاكيدا على برائته ومنحه الحصانة الدبلوماسية ايضا.

تاريخيا ومنطقيا فان الضفة النهرية في اي مدينة تستحوذ اهم الابنية الحكومية وابرز القصور السكنية التي يستطيع الاثرياء فقط شراء اراضيها الغالية والمطلة نهريا وباطول جبهة ممكنة. لذا، فاننا نرى بان الجبهة النهرية للرصافة (من الشمال الى الجنوب) قد استحوذت على القلعة العسكرية منذ الفترة العباسية، ثم هناك القصر العباسي، المدرسة العلية، قصر الوالي، القشلة والسراي، المدرسة الرشدية العسكرية، جامع الوزير، جامع الاصفي، برج منار بغداد (هدم)، المدرسة المستنصرية، جامع الخفافين، المحكمة الشرعية (هدمت)، قصر النواب (القنصلية البريطانية-هدم)، قصر الثري ساسون (هدم)، فندق كاليدجز (هدم)، القنصلية الروسية (هدمت)، قصر الثري اصفر(هدم)، قصر الثري مناحيم دانيال، جامع السيد سلطان علي، قصر القنصل الالماني ريجارز(هدم)، قصر النقيب الكيلاني، المقيمية البريطانية، القنصلية الامريكية (هدمت)، القنصلية الالمانية (هدمت)، قصور ال الخضيري (ياسين وعبد القادر)، ودور متميزة عديدة اخرى.

اذن من هو الثري البغدادي الكبير الذي شيد هذا القصر المذهل والذي شملت واجهته النهر على سلسلة طويلة من الشناشيل الخشبية الجميلة؟

هل هو احد الاثرياء من ال الخضيري؟

ام ال النقيب الكيلاني؟

ام هو احد الاثرياء من العوائل اليهودية مثل ال ساسون او دانيال؟

انا متاكد بان الجواب موجود بين طيات الاوراق والوثائق العتيقة التي تحتفظ بها الحكومة الالمانية في ارشيفها الثمين!

لعل احد الباحثين العراقيين-الالمان يساعدنا في البحث بين اوراق الارشيف الالماني ويعثر على نسخة من عقد الايجار مثلا ويكشف لنا اسم البغدادي الذي شيد هذا الدار الجميل... ويحل هذا اللغز الكبير الذي يهمنا نحن محبوا التراث المعماري العراقي!

غداً...وجبهتها النهرية الجميلة المهددة!

بدون ادنى شك ان اجمل ما تبقى من بغداد التاريخية هو جبهتها الرصافية النهرية، تحديدا.

بيد انها، بصوبيها، الرصافة والكرخ، كانت محاطة تماما بسور عالي من جميع الجهات، وحتى من جهة النهر طبعا، عبر اغلب تاريخها الطويل. هذا يعني ان بغداد لم يستطع احد ان يراها متكاملة باهم معالمها من خارج اسوارها، عدا اجزاء من قباب جوامعها ومأذنها العالية، ولا توجد اي جبال او تلال قريبة منها توفر رؤيتها كمدينة متكاملة كما هو الحال في مدن كثيرة اخرى. فجبهة الرصافة النهرية "انكشفت" وظهرت كمدينة متراصة طولها اكثر من ثلاثة كيلومترات فقط عندما هدم الجزء العلوي من سورها النهري منذ نهاية القرن الثامن عشر كما يبدو، علما ان العديد من واجهات القصور النهرية استغلت بقايا السور النهري لاحقا ووظفتها ك "مسنايات" ضخمة وشامخة وشيدت عليها جدران عالية تطل منها الرواشن والشناشيل. هذا واضح تماما لان بعض اجزاء المسنايات كانت نصف دائرية لانها بقايا الابراج التي كانت تدعم السور النهري بمسافات متكررة. ان رسومات الفنانين الاجانب، واخص منهم الفرنسي الرائع (يوجين فلاندان ١٨٠٩-١٨٨٩)، اغرموا جدا بواجهة الرصافة النهرية وكانوا طبعا يركزون على الجسر العتيق وقبة جامع الوزير الهائلة، اضافة الى الفنار المخروطي الجميل المطل على دجلة وعلى مقربة من المدرسة المستنصرية وشريعتها التي تجمع الزوارق والقفف والسفن الشراعية.

من الطبيعي ان تتغير المدن التاريخية عبر الزمن ومنها تلك التي تمتلك اطلالة على نهر، وهي كثيرة جدا (في العراق اذكر-الموصل، البصرة، هيت، الحلة، الكوفة، البصرة... وعالميا - روما، فلورنسا، باريس، لندن، براغ، بودابست، موسكو...). لكنها اغلب مدن العالم حاولت منذ قرون عديدة الحفاظ على معالمها التاريخية وجبهتها النهرية وخصائصها المعمارية من مواد والوان وارتفاعات ابنيتها، من خلال سن قوانين صارمة جدا لايمكن كسرها من اي جهة مهما كانت. لهذا نرى ان هذه المدن لاتزال تحافظ على هويتها واغلب معالمها التاريخية بالرغم من خسارة العديد من نسيجها الاصلي ايضا بسبب الحروب المدمرة و اخطاء المخططين الحضريين والسماح للجشع الاستثماري العقاري في الانظمة الرأسمالية بشراء المباني التاريخية وهدمها واستبدالها بعمارات تجارية مرتفعة وبائسة عادة لانها لا تراعي ابدا البيئة التاريخية وذاكرتها الحضرية. هذا بالضبط ما حصل في لندن التي يرجع اصلها الى الفترة الرومانية لكنها خسرت من تاريخها اكثر من اي دولة اوروبية.

اما جبهة الرصافة النهرية فهي ايضا تعرضت لحملة تغيير كبيرة بعد هدم سورها النهري بيد ان التشويه الاكبر جاء منذ بداية خمسينات القرن الماضي عندما بدأت الامانة بالسماح ببناء العمارات البرجية العالية في قلب ومركز بغداد التاريخية وهي منطقة (باب الاغا) حيث الاسواق والخانات القديمة. ومن الممكن القول بان اتعس مثال تخريبي هو عمارة الدفتردار التابعة للاوقاف (٣ كتل - الاعلى ب ١٢ طابق)، وعمارة مصرف الرافدين (١٦ طابق - يجري الان ازالة عدد غير معروف من طوابقه العليا)، وعمارات عديدة اخرى حديثة وعالية على طول امتداد الجبهة النهرية حتى باب الشرقي. كان المفروض طبعا الحفاظ على كافة المعالم التاريخية في الجبهة بما في ذلك اجزاء وابراج السور النهري، واعادة بناء جامع الوزير بقبته المذهلة كما هي وليس كما حصل لانه تصميم بائس، واعادة بناء الفنار المخروطي الذي اختفى كليا بسبب انجرافه من فيضان بحدود ١٨٦٠، وعدم السماح ببناء الابراج العالية في الرصافة التاريخية على الضفة النهرية والابتعاد بها خارج الرصافة التاريخية.

ختاما، انا ادعو، بكل جدية، الى اعادة النظر بتخطيط جبهة الرصافة التاريخية واعداد تصميم حضري مدروس ومفصل لها بهدف عادة معالمها التاريخية كما كانت، قدر الامكان، وازالة المعالم المشوهة تدريجيا، وتوفير ممشى متصل للسابلة على طولها، مع احياء اماكن المشرعات القديمة (جمع مشرعة، او شريعة)، واحياء عدد من السفن الشراعية والقفف التاريخية التي يمتد اصلها الى الفترة الاشورية وكانت عنصرا بغداديا جميلا وفريدا من نوعها في العالم. هذا هو الحل الصحيح لمعالجة جبهة بغداد النهرية.

هل هناك من يؤيدني في صرختي لانقاذ جبهة الرصافة النهرية من خطر الزوال والتشويه الابدي؟

عن صفحة الاستاذ الدكتور احسان فتحي

سنة على رحيله

من مذكراته.. نشأة هشام المدفعي وأسرته

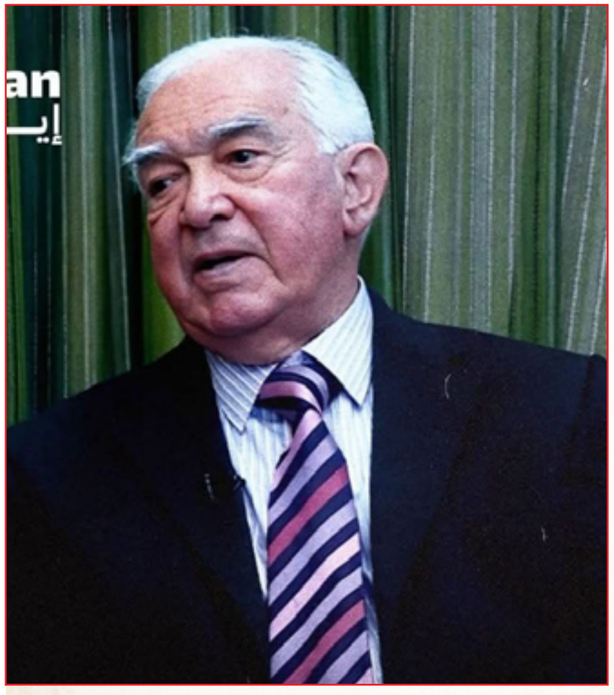

نشأت في أسرة عراقية بغدادية عريقة، لقبت بأسرة المدفعي، اذ كان جدي ومن بعده والدي من ضباط صنف المدفعية في الجيش العثماني في الهزيع الاخير من العهد العثماني في العراق. وكنت أعرف ان جدي من أصول كردية، وان زوجته من أصول عربية، غير اني لم ادرك الدليل الثابت على ما أذكره في هذه المقدمة. ولم يكن هذا الامر محصورا بأسر محددة، بل كان الغالب في معظم أسر المدن الرئيسة في العراق، لقد كانت عملية المصاهرة بين مكونات العراق الاجتماعية، ظاهرة اصيلة وثابتة، جديرة بالتنويه والاعجاب، لم يستطع ملوك الطائفية المقيتة والقومية المتعصبة، الطارئون على المجتمع العراقي، تشويه هذه الحقيقة الرائعة.

يعود جدي علي اغا الى اصول كردية، فهو من قبيلة رؤنزي الشهيرة في اربيل واحنائها، وقيل انها نزحت من قرية (رنزي) في كردستان ايران قبل قرون. بعد ان نقل لأسباب عسكرية، استقر ضابط المدفعية علي محمد اغا رؤنزي في بغداد، في محلة الفضل، وتكونت له علاقات طيبة مع اهالي المنطقة، ولاسيما اسرة احد الضباط من اولاد الحاج حبيب العزيالذي ينتمي الى عشائر عربية عريقة، فتزوج ابنته (بزمي عالم)، وولدت له اربعة اولاد وبنت واحدة، كان اكبرهم محمد امين زكي، محمد صالح علي، ثم حسن علي، زكي علي، وامينة التي تزوجت من محمود رامز، الشخصية السياسية المعروفة.

كان والدي (حسن فهمي) الابن الثالث لعلي اغا، وكانت ولادته في الوثائق الرسمية في ١٣ نيسان ١٨٨٥، ونشأ في محلة الفضل، وهي من أعرق المحلات البغدادية آنذاكو تحمل كافة سجايا المجتمع البغدادي وتقاليده المتوارثة في جميع مناحي الحياة وصورها. وتوفاه الله في سنة ١٩٤٦/١١/١٧.

اكمل الابتدائية والثانوية الرشدية ببغداد، ثم دخل مدرسة صنف المدفعية في اسطنبول وتخرج فيها ضابطا مدفعيا، واشترك في معارك الحرب العالمية الاولى، ومنها معركة (جناق قلعة) الشهيرة التي انتصر فيها العثمانيون على الاسطول البريطاني، وقد اصيب بجرح في هذه المعركة، بقيت آثاره في ظهره الى النهاية. وقبل انتهاء الحرب انخرط مع عدد كبير من الضباط العراقيين في الثورة العربية التي قادها شريف مكة الحسين بن علي. والتحق بجيش الحكومة العربية في دمشق بقيادة الامير فيصل بن الحسين.

وبعد القضاء على تلك الحكومة من قبل الجيش الفرنسي بقيادة (غورو) عاد الى العراق مع صديقه الضابط جميل المدفعيعن طريق تلعفر، وانضم الى الجيش العراقي الناشئ، ونسبا الى سلك الشرطة وعين مديرا الشرطة قضاء سامراء ثم مديرا لشرطة الديوانية فكركوك (١٩٢٧)، ونقل الى بغداد مديرا لمدرسة الشرطة ثم مديرا لشرطة البادية ومدير الحركات في الشرطة العامة، حتى عين عام ١٩٣٧ مديرا عاما للشرطة.

تزوج والدي للمرة الاولى من(رمزية) شقيقة زوجة عمي الكبير محمد امين زكي، من اسرة الهرمزي والنفطجي التركمانية في كركوك. وقد توفاها الله بعد سنة واحدة من زواجها، ولم تنجب. وفي عام (١٩٢٥)، تزوج والدي من ابنة الشيخ نوري اسماعيل الشيرواني (١٨٦٦ - ١٩٤٢)، وهو من كبار علماء الدين في بغداد، نزح من مدينة شيروان مازن وهي مدينة صغيرة تقع قريبا من قضاء (ميركه سور) في راوندوز التابعة لأربيل. وكان مع شقيقه الشيخ طه الشيرواني من اشهر علماء الدين ومدرسيها في بغداد، وقد تخرج على أيديهما عدد كبير من الاسماء البارزة في المجتمع.

وفي السنوات التالية عين متصرفا لعدد من الألوية (المحافظات) العراقية، وهيالرمادي والحلة والديوانية وبغداد وكركوك التي توفي فيها في تشرين الثاني ١٩٤٦. اذكر هذه الوظائف المرموقة هنا، لأن أسرته منذ زواجه في منتصف العشرينات كانت تصاحبه في تنقلاته وتقيم معه، وكان ذلك من التقاليد القديمة لموظفي الدولة، ولعلها ظلت الى يومنا، وفيها تتعرف اسر الموظفين على اوضاع البلاد وتقاليد الناس المختلفة، وتتوطد صلاتهم فيما بينهم. وكثير من الأسر استقرت بعيدا عن مناطقها الاولى واصبحت تعرف بمناطق استقرارها الاخير. تعرفنا على الكثير من الزملاء والاصدقاء في انحاء العراق مما ساعدنا كثيرا على تفهم طباع مجتمعنا شمالا وجنوبا، تعرفنا على المجتمعات المحلية بطباعها وتقاليدها ولهجاتها وشخصياتها وشيوخها وأحوالها الاخرى، منذ الثلاثينات في القرن العشرين... هكذا اراد والدي ان ننشأ ونعيش.. وهكذا اردنا ان نعشق الارض التي عشنا عليها نحن وأسلافنا.

وكان تأثير والدي وأعمامي وإلوالدتي وإخوانها وأخواتها علي وعلى اشقائي كبيرا ومهما سأذكره فيما بعد.

حمّام العليل وحديث الذكريات

باسل ذنون الخياط

حمّام العليل، أو (حمّام علي) كما يسميها أهل الموصل، ناحية تابعة إدارياً إلى قضاء الموصل مركز محافظة نينوى، وتبعد حوالي (٢٧ كم) جنوب شرق الموصل، وتقع على الضفة اليمنى من نهر دجلة.

تشتهر حمّام العليل بمياهها الكبريتية الحارة مما أكسبها شهرة متميزة لاستخداماتها العلاجية، فضلاً عن موقعها السياحي، حتى إن اسمها اقترن بحمّاماها الشهيرة. هذه الحمّام يقصدها الناس في موسم الصيف ليستحموا بها، على أساس إنها تساعد في أن تبرىء من الأمراض الجلدية كالجرب والحكة والبثور والأكزيما..

يعود تاريخ ينابيع المياه المعدنية في حمّام العليل لأكثر من ٨٠٠ عام على الأقل، وهي تُعد من أكبر ينابيع المياه المعدنية في العراق وأكثرها غزارة..

لقد سُميت ناحية (حمّام العليل) تيمنا بمياه الينابيع التي هي وسيلة علاجية لكثير من الأمراض الجلدية. كما تُعد علاجا ناجحا لكثير من الأمراض المزمنة كالروماتزم وبعض الأمراض والطفوحات الجلدية كالجرب والأكزيما والحساسية، لاحتواء مياهها على الكبريت ومجموعة من المعادن التي تدخل في صلب صناعة الأدوية الكيميائية المعالجة لتلك الأمراض..

ذكر حمّام العليل الرحّالة الجغرافي ياقوت الحموي البغدادي (١١٧٨-١٢٢٩م) بقوله: "انها تقع بين الموصل وقرية جهينة قرب عين القار غربي دجلة، وهي عين ماؤها حار كبريتية، يقول أهل الموصل ان بها منافع والله أعلم..

كما ذكرها الرحّالة الفرنسي تافرنييه والذي قدم إلى العراق في القرن السابع عشر وقال عنها: "رسونا قرب حمّام حار المياه، على بعد رمية بندقية من دجلة، وكان مزدحما بالمعلولين الذين أمّوه للاستشفاء من كل حدب وصوب. إنها تتألف من عدة عيون معدنية أهمها ثلاث هي: العين الكبرى، وعين زهرة، وعين فصوصية، وهي ذات مياه كبريتية حارة وتنبع عند الشاطئ الأيمن".

كذلك ذكرها الرحّالة الإنكليزي جون أشر عام ١٨٦٤م، عند خروجه من الموصل على ظهر (كلك) متوجها إلى بغداد فقال: "وصلنا إلى (حمّام علي) وفيه تنبع عيون كبريتية من تربته القريبة من النهر، وكانت رائحة البخار الخارجة منه نفاذة ولاذعة للغاية، والرياح تحمله إلى مكان وقوفنا. وتعد من أكبر ينابيع المياه المعدنية في العراق وأكثرها غزارة، وسميت الناحية تيمنا بمياه الينابيع التي يُزعم أنها تشفي المرضى".

لقد ذكر الدكتور محمد نزار أن الباحث والمؤرخ والفلكي الدكتور محمد صديق الجليلي (١٩٠٣-١٩٨٠) قدّم كتابا بعنوان (الاصطياف في حمّام العليل) وقد طبع الكتاب سنة ١٩٦٥، وذكر فيه أن الدكتور فائق شاكر السامرائي قد جمع كرّاسا عما قيل في وصف أحوال حمّام الجليل ما بين مستهجن ومادح من الشعر العامي الموصلي، وأهدى إليه ثلاثة قصائد..

ويُعتبر الدكتور فائق شاكر السامرائي من ظرفاء بغداد وقد عاصر العهد الملكي في العراق وكان من المقربين من رجال الحكم آنذاك، وتسلم رئاسة صحة لواء بغداد ثم رئيس صحة الموصل ١٩٣٩، ١٩٤١.

القصيدة الأولى في كرّاس الدكتور فائق شاكر السامرائي هي للشاعر والأديب الموصلي الملا جرجيس بن درويش المتوفى ١٧٢٧م، وهي خالية من العنوان وتنوف على الثلاثين بيتاً، ذم فيها أحوال حمّام العليل في ذلك العصر واستهجن الإصطياف، ومما جاء فيها:

قد عُدِمَ الرأيُ وقل الصوابُ... وزاحم الحزمُ أمور الصعابِ
محضتُكَ النُّصحَ بما قلتَه... وأنتَ أدرى بعد ذا بالصواب

وجاءت القصيدة الثانية في الكرّاس خالية من العنوان أيضا وهي للمفتي وكان ممن يحبون حمّام العليل فنظم قصيدة من أربعين بيتا يعارض فيها قصيدة الملا جرجيس الموصلي في حمّام العليل ويرد عليه ويصف أحوال الاصطياف في عصره ويحبذها، ومما جاء فيها::

كم من عليل زال عنهُ العنا... فيها وكم عوفي فيها مُصابُ
عتبا علي من ذمها سابقا... جرجيس في تشنيعها إذ أعابُ

أما القصيدة الثالثة في الكرّاس فهي لإسماعيل حقي آل فرج (١٨٩٢-١٩٤٨م) الذي كان من أنصار حمّام العليل والمدافعين عنها، وقد حملت القصيدة عنوان (ذكرى حمّام العليل)، وهي على خلاف القصيدتين السابقتين جاءت حاملة عنوانا رئيسا، وتزيد عن المائة بيت، وقد عارض فيها قصيدة الملا جرجيس الموصلي ورد عليه ووصفها ووصفا مفصلا من بيان موقعها وحدائقها الجميلة ومنتزهات الحمّام الليلية على ضفاف نهر دجلة، وحركة العمران في الحمّام؛ ومما قاله فيها::

بل إنني بالعكس شاهدتها... حمّام انس بصفاء مُشاربُ
لله حمّام إذا جئتها... من حُسنها تلقَ البَديعَ العُجابُ
حدائقٌ غلب بأنحائها... باكرها الممطر دانيَ الرَبابُ
شوارعُ الحمّام قد عُبدّت... وشُجرت سهوله والروابُ
وكم بالاستحمّام من لذة... فيهِ فهل تنوي إليهِ الذهابُ؟

السفر إلى حمّام العليل

يمكن السفر إلى حمّام العليل عبر طريق البر القديم المحاذي لنهر دجلة من خلال قرية (ألبو سيف) مرورا بطريق الحيّة، أو عن طريق الموصل/بغداد.

لقد ذكر الدكتور محمد صديق الجليلي أن السفر لحمّام العليل قبل دخول وسائل النقل الحديثة كان عن طريقين، أولهما السفر عن طريق النهر وكان يتم بوساطة الطرادات (مفردها طرادة) وهي قوارب متوسطة الحجم تتسع لخمسة أو عشرة أشخاص، أو بواسطة العبرات (مفردها عبرة) وهي أكلاك صغيرة ينصب على ظهرها مظلات صغيرة لجلوس المسافرين..

إن السفر عن طريق النهر كانت تكتنفه بعض الخطورة، وتشير المصادر التاريخية إلى أن عائلة (أحمد) الابن الأكبر للمُلا عثمان الموصليّ (١٨٥٤-١٩٢٣م) قد غرقت بالكلك في نهر دجلة قرب منطقة (حمّام العليل).

أما السفر براً في الماضي، فكان إما على ظهر الخيل أو على ظهور الحمير التي كانت تسير على شكل قوافل تسمى بالكروان، وأما المرضى فكانوا يُحملون إلى حمّام العليل بوساطة النحّتروان (بالفارسية تخت روان: أي السرير السيار) وهو على شكل هودج كبير الحجم يحمله بغلان يسير أحدهما وراء الآخر.

وبعد دخول أول سيارة إلى الموصل سنة ١٩١٩ بدأ أعداد السيارات يزداد، وتم استخدامها للنقل الداخلي ثم الخارجي..

محطة قطار الموصل

يُعد العراق من أوائل دول الشرق الأوسط استخداما للقطارات لنقل المسافرين والبضائع. وعند إنشاء محطة قطار الموصل عام ١٩٣٠م، كانت أول انطلاقة للقطار منها باتجاه بغداد، وكانت حمّام العليل أول المحطات التي يقف بها القطار، حيث سُجلت أول رحلة تم تسييرها بين بغداد والموصل سنة ١٩٤٠.

لقد كان القطار الوسيلة الأكثر إقبالاً بين العراقيين حتى أواسط تسعينيات القرن الماضي، وذلك لأنه وسيلة آمنة للنقل فضلا عن رخص تكاليفه وانتظام توقيتاته.

ويذكر (محمد أحمد) مدير محطة قطار الموصل أنه "قد زار العديد من الرؤساء والملوك والمسؤولين الكبار والفنانين المعروفين محطة قطار الموصل على امتداد تاريخها، وفي هذه المحطة طوّرت الروائية البريطانية الشهيرة (أغاثا كريستي) مغامراتها البوليسية، كما غنّت كوكب الشرق أم كلثوم في قاعة الاستقبال الملكية الملحقة بهذه المحطة، كما نزلت الفنانة صباح في فندق المحطة في مهرجان الربيع". وباختفاء هذه المحطة يختفي جزء من تاريخ العراق، وتاريخ مدينة الموصل الاستراتيجية وبوابة العراق نحو سوريا وتركيا وأوربا.

إستذكار وفاة اجاثا كريستي في 12 يناير 1976 من ذكرياتها في العراق

شذى القيسي

قامت الكاتبة المولعة بالمغامرة أجاثا كريستي، بأول رحلة لها إلى العراق عام ١٩٢٨م.

كانت تعتبر من الرحلات المثيرة حيث ركبت القطار من محطة فكتوريا في لندن إلى مدينة "دوفر" على الشاطيء الجنوبي لبريطانيا،ثم عبرت المانش بمركب إلى الشاطيء الفرنسي ومن ثم أخذت قطار يسمى "سيمبلون" لتتوجه إلى اسطنبول في تركيا في رحلة تدوم لثلاثة أيام عندما وصلت الكاتبة إلى اسطنبول استقلت القارب الذي أقلها للجانب الأسيوي من تركيا لتركب بعد ذلك القطار الذي أخذها من حلب إلى بغداد.

في بغداد أرادت الكاتبة زيارة آثار مدينة أور ولكن ذلك تعذر عليها ولكنها قررت العودة مرة أخرى.

في عام ١٩٣٠ م عادت أجاثا إلى أور في شهر مارس في الفترة التي كانت تهب فيها عاصفة رملية قوية استمرت خمسة أيام لم تتمكن فيها كاترين زوجة رئيس البعثة البريطانية للتنقيب عن الآثار من الإعتناء بالضيفة فأوكلت تلك المهمة إلى عالم الآثار البريطاني البروفيسور "ماكس مالوان» الذي رحب بالمهمة.

اصطحبها ماكس مالوان اولا الى نفر ثم كربلاء ثم بغداد، وكان (فندق مود) لصاحبه (ميخائيل زيا) محط رحالهم في بغداد، وفي أثناء ذلك وردت رسالة لأجاثا تخبرها بمرض "روزالند» ابنتها من زوجها السابق الضابط رشيبالد كريستي فغادرت على عجل بمساعدة ماكس مالوان الذي مال قلبه لأجاثا على الرغم من أنها كانت تكبره بخمسة عشر عاماً..توجها بعد ذلك الى انكلترا بعد ان توثقت العلاقة بينهما فتزوجا في ١١ ايلول ١٩٣٠.

رجع ماكس مالوان عام ١٩٣٢ ليبدأ في الكشف عن الآثار في نينوى، وكانت اجاثا ترافقه، ففي مصورة فوتوغرافية وتنظف اللقى الاثارية وتسجلها فضلاً عن استمرارها في كتابة القصص والروايات، وكان نصيب العراق في قصصها هي (جريمة في شارع الرشيد) و(جريمة قتل في بلاد الرافدين) و(عائد في الربيع) تلك القصص التي تجد فيها الفهم العميق لشخصية منحرفة سنحت لها فرصة التحول الى الخير فاختارت سبيل الشر..

ان الدراسة الضمنية للخير والشر لاتغيب عن معظم كتب اجاثا مع فهم اصيل وبديهي للدراسة النفسية المرافقة له.

تترك اجاثا وزوجها العراق سنة ١٩٣٤ لتعود اليه سنة ١٩٤٧ وتنشغل في اثار نينوى ونمرود لغاية عام ١٩٤٩، وقد اكتسبت خبرة في معاملة العمال العراقيين الذين كانوا يشيرون اليها على انها (معتهم) لحنانها وطيبتها في التعامل معهم، بالإضافة الى عملها في الآثار مما جعل الاستغناء عنها صعبا.

إنتقلت بعد ذلك الى اشور وبقيت حتى سنة ١٩٥١، وهو الموسم الاثاري الثالث لبعثة ماكس مالوان زوجها، وكذلك الموسم الرابع عام ١٩٥٢ والموسم الخامس والاخير عام ١٩٥٣، وكانت هذه المواسم الاخيرة مختصة بالآثار الاشورية التي اكسبت اجاثا خبرة كبيرة في حضارات العراق، وقد وظفت بعض ذلك في قصصها الرائعة التي لازالت تطبع والتي استحوذت على اهتمام مئات الملايين من القراء ومشاهدي الافلام والمسرحيات لما تتمتع هذه الاعمال بالتحليل النفسي الدقيق ونفاذ بصيرة في الطبيعة البشرية المرسومة من غير تعقيد والحكم عليها من غير مبالغة.

إن عدداً من الآثاريين العراقيين عملوا مع ماكس مالوان وتعرفوا على أجاثا كريستي ورافقوها في معظم المواقع الاثرية، ومن بينهم الدكتور بهنام أبو الصوف، والدكتور طارق مظلوم.

ويذكر أبو الصوف أن أجاثا كريستي كانت تكبر مالوان بـ (١٦) عاما وأنها كانت معجبة باحترام العراقيين للمرأة..

وعندما اكتشف زوجها تمثالاً نفيسا من العاج سنة ١٩٥٢، وكان لامرأة جميلة أصرت (أجاثا كريستي) أن تطلق على التمثال: (مونالين نمرود) ويرجع التمثال في تاريخه إلى القرن الثامن قبل الميلاد.

وقد ادخلت "مقبرة اور الملكية" المرأة الانكليزية وما عثر فيها من اللقى من الخنجر المشهور الى القيثارة السومرية والحلي النسائية الملكية فشدت هذه الآثار اجاثا كريستي ومنحتها تصوراً جديداً وبعداً اخراً اضفى على كتابتها نوع من السحر والغموض كونت اجوائها مصدر وحي والهام لتكتب قصصاً تشد القارئ بروعة الشرق ولغز الجريمة.

وفي الاعوام القليلة الماضية اقيم في المتحف البريطاني معرض خاص عن اجاثا كريستي ومقتنياتها وعملها في العراق ليروي بعضاً من قصة حياتها بعد ان تعلمت من زوجها بعداً مهماً من ابعاد صنعة التنقيب وصيانة وحفظ الآثار..

فبعد الاستدلال على الموقع وغالباً ما يكون مكاناً مرتفعاً تبدأ عمليات الحفر بشكل بطيء ومهل وبادوات يدوية بسيطة تتطلب الصبر والاناة والدقة والتأني التي يقوم بها اهالي «الشرقاط» بكل جدارة.. فهم بالفطرة يعدون من احسن المنقبين عن الآثار في العراق.. فكانت اجاثا كريستي تتلقف اللقى المطمورة بين طيات التراب منذ آلاف السنين وتلفها بقطعة قماش مبللة لتمنع ملامستها للهواء الذي يعرضها للتهشم ثم تتركها لتتعود تتأقلم تدريجياً على الجو فوق سطح الارض بعدها تقوم بترميم هذه اللقى وتضع لها وصفا دقيقاً ورسمها أو تصويرها في سجل خاص..

كما كانت تعمل على جمع الاجزاء المكسورة مع بعضها البعض لتعيدها الى شكلها الاصلي.. اما زوجها فكان يقرر نسبها وتاريخها ونمطها واسلوبها ومكان العثور عليها والطبقة التي استخرجت منها وكانت توليها أجاثا أهتماماً خاصاً وصل إلى درجة تنظيفها بمستحضرات العناية بالبشرة.

وفي موقع "النمرود" الذي يقع بالقرب من مدينة الموصل استعملت اجاثا كريستي آلة التصوير السينمائية في تصوير لقطات عن الناس والبيئة في تلك الاماكن فوجد في اليوماتها صوراً عن الراعي الكردي يقطع الطريق عابراً بمعزاته ورهبان فرنسيكان بملابسهم التقليدية..

وعبر النهر صورت راعي عربي بغترته وعقاله وفلاحا يحرث الارض واخر يبذر البذور ودولاب الهواء وبائع الحلاوة وشاب ببدلة اوروبية عصرية بربطة عنق.

وفي "الاربجية» وهي اليوم من إحياء مدينة الموصل (حي القادسية الثاني) سكنت «اجاثا كريستي" في بيت بسيط وواصلت عملها الدؤوب وكتابة قصصها البوليسية وتسجيل الوقائع بآلة تصويرها السينمائية الا انها كانت تنتقل بشكل دائم بين المواقع الأثارية لتعود الى بغداد بين حين واخر طلباً للراحة.. فتجلس في شرفة تطل على نهر دجلة في الصباح تتناول فطورا انكليزيا أوقيمرا عراقيا مع خبز تنور لذيذ.

لو اردنا ان نقتفي اثار كاتبتنا التي سكنت العراق واخر الاربعينات من القرن المنفرط ونذهبنا الى حي الوزيرية ونشدنا البيت الذي قطنته مع زوجها (مالوان) وفيه استقبلت (جبرا ابراهيم جبرا) وقدمت له الشاي الحار والكعك اللذيذ دون أن يعلم هوية مضيفته الى ان اكد له (ديزموند ستيوارت) الكاتب الانكليزي الذي يقطن في بغداد هو الاخر تلك الايام هذه الحقيقة..حقيقة المرأة التي جالسها واحتسى شايها اللذيذ وهي تحيك لزوجها بلوزة، هي كاتبة الروايات البوليسية الشهيرة بلحمها ودمها.

وقد سألت أجاثا "جبرا" عن عدد الروايات التي كتبها فخجل أن يقول أن العدد لايتجاوز الروايتين أمام عمالقة الروايات البوليسية فسكت على مضض.

وكانت زيارتها الأخيرة للعراق سنة ١٩٦٠، حين حضرت مؤتمرا اثاريا عقد فيه..

استمرت حياتها الزوجية خمساً وأربعون سنة حتى وفاتها سنة ١٩٧٦..

رحم الله الجميع بما فيهم أثارنا..

منقول صفحة شذى القيسي.

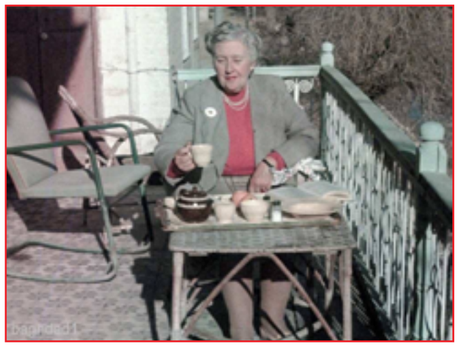

كيف هرب الكيلاني من ألمانيا سنة 1945؟

رفعة عبد الرزاق محمد

خلاصة

يتعرض هذا المقال الى لمحات من حياة الكيلاني في منفاه واقصد هنا حياته في الاقطار الشرقية والغربية التي جال فيها بعد تركه ايران وعبوره الى الاراضي التركية مع جماعة من انصاره في ١٢ تموز ١٩٤١ على اثر التطورات الدولية والحربية التي ادت الى اعتقال الكثير من اقطاب حركة مايس وتسفيرهم الى العراق ليلقوا ما لقوه..

والحقيقة ان حياة العراقيين في الاراضي الايرانية على قصرها باتت معروفة لمتتبعي تاريخ العراق السياسي الحديث، بعد ظهوره كتب المذكرات السياسية لصلاح الدين الصباغ وعلي محمود الشيخ علي وعثمان كمال حداد و الدكتور محمد حسن سلمان، والاهم من هذا كله مذكرات الكيلاني التي نشرها على حلقات في مجلة (اخر ساعة) القاهرية وهي ليست كاملة كما اعلن اكثر من قريب للكيلاني نفسه!ما ان استقر الكيلاني في اسطنبول حتى التف حوله العرب المقيمون في تركيا الذين يجمعهم العداء لبريطانيا ورجالها في الشرق فعقدوا معه لقاءات عديدة لبحث الموقف العربي واعلنوا انه يجب الوقوف علنا ضد بريطانيا وحلفائها وعقد معاهدة صداقة وتحالف مع دول المحور، وعلى ذلك فقد خوله اعضاء حكومته السابقون الذين التجؤوا الى تركيا مع انصار حركته، حق التفاوض مع الحكومة الالمانية، وحرروا وثيقة بذلك ويذكر الكيلاني في مذكراته انه حمل هذه الوثيقة معه الى برلين مع وثيقة اخرى من حكومته تخوله التفاوض باسم الحكومة العراقية باعتبار حكومته هي الحكومة الشرعية للعراق، وفحوى الوثيقتين تتعلق بحمل المانيا على الاعتراف رسميا بالكيلاني كرئيس وزارة للعراق لتكون المحادثات رسمية وان يعمل الكيلاني للحصول على تصريح رسمي من حكومتي المانيا وايطاليا باحترام استقلال البلاد العربية المستقلة والاعتراف ببطلان وعد بلفور المتضمن اقامة وطن لليهود في فلسطين.

لقد وجد رشيد عالي ان وجوده في تركيا يشكل خطرا على حياته وليس هناك مايبرر هذا الوجود فقرر ترك تركيا والرحيل الى برلين بعد ان تفاقمت الدعاية البريطانية في تركيا فاتصل بالسفير الالماني الفون بابن.يقول لوكازهير في كتابه (المانيا الهتلرية والمشرق العربي) اعتمادا على الوثائق الالمانية التي سمح بنشرها ان رشيد عالي غادر تركيا بصفته عضوا

في بعثة صحفية المانية قدمت الى اسطنبول بناء على دعوة من تركيا، وقد ابلغ المسؤولون الالمان الحكومة التركية بأن البعثة ستضم ثمانية اشخاص ولكن لم يصل منهم سوى سبعة وحين رحلت البعثة ضمت معها رجلا مغطى بالضمادات وقطع الشاش هو الرجل الثامن الذي منعه المرض من الاشتراك في الاستقبالات والرحلات وحين وصلت هذه البعثة الى برلين تبين ان الرجل الثامن لم يكن سوى رشيد عالي الكيلاني!!وقد سبق هذه المحاولة الناجحة من محاولات عدة قام بها الكيلاني للهرب من تركيا غير ان السلطة التركية كانت تعلم بنيته من خلال مراقبتهم لمرافقه (نجدة الشواف) الذي قام بشراء عدد من الحقائب الجديدة.ولحق بالمرحوم رشيد عالي والمفتي الحسيني الى برلين، عدد من انصارهما امثال ناجي شوكت وكامل الكيلاني والدكتور محمد حسن سلمان ونجدة الشواف وجابر العمر وعلي الصافي وعبدالحميد الهلالي وفوزي القاوقجي وصبحي ابي غنيمة وغيرهم وعين الدكتور غروبا الدبلوماسي الالماني الشهير ضابط اتصال بين العرب وبين الحكومة الالمانية.

.وفي برلين بدأ رشيد عالي نشاطا واسعا مع القادة الالمان، غير ان الخلاف الشديد الذي نشب بينه وبين مفتي فلسطين الحسيني بعثر جهوده وجعلها تنصب على التنافس مع المفتي، ومع هذا فقد تمكن من الحصول على خطاب رسمي من الحكومة الالمانية (حكومة الرايخ) مرحبا به كرئيس وزراء العراق الشرعي وفي تموز ١٩٤٢ التقى الكيلاني الزعيم الالماني هتلر باحدى المقاطعات الروسية، وامتدح الفوهرر ثورة الشعب العراقي ضد الوجود البريطاني واعلن ان المانيا ليست لها مطامع في الوطن العربي كما التقى الكيلاني بالزعيم الايطالي موسوليني وقدم له مطالبه وهي عقد اتفاقية تعاون بين العراق ودول المحور واصدار بيان يتضمن الاعتراف باستقلال الاقطار العربية، بما فيها فلسطين كما تبادل الكيلاني مع وزيري خارجية ايطاليا والمانيا على الرسائل مطالبيه القومية الوطنية.ان وجود الكيلاني في برلين ونشاطه السياسي فيها وقصة خلافه مع المفتي الحسيني فيها وقصة خلافه مع المفتي الحسيني فيها، يستاهل دراسة مستقلة لبيان حقيقة الموقف العربي من دول المحور حتى انتهاء الحرب العالمية الثانية. وعندما بدأت جيوش الحلفاء بالاقتراب من برلين هرب رشيد عالي الى سويسرا وباءت محاولته للاستقرار فيها بالفشل.

ويذكر الدكتور حمدي الخياط في مذكراته انه في اول مايس ١٩٤٥ عندما بدأت جيوش الحلفاء بالاقتراب من برلين هرب رشيد عالي الى سويسرا وباءت محاولته للاستقرار فيها بالفشل. في اول مايس ١٩٤٥ عندما كان يدرس في جامعة براغ ضيف في داره رشيد عالي الكيلاني بعد ان فشل في دخول سويسرا وكان الكيلاني قد جاء تشيكوسلوفاكيا مع مرافق سوري وسائق الماني كانت الحكومة الالمانية قد وضعته في خدمة الكيلاني.. وقد ترك بعض مرافقيه قبل هذا وهم السادة حكمت سامي سليمان ومحمد سلمان شقيق العقيد محمود سلمان وفرج الله و(يريدي) المترجم في المكتب العربي ببرلين الذي كان بزعامة الكيلاني، ومن الطريف أن سيارة الكيلاني المهداة من حكومة المانيا قد اختفت بعد ان حرص الحلفاء على جمع كل سيارة يجدونها في الشارع لنقلها الى بلادهم كغنيمة حرب.

رئيس مجلس الادارة رئيس التحرير

فخري كريم

رئيس التحرير التنفيذي: علي حسين

سكرتير التحرير: رفعة عبد الرزاق

العدد (6069) السنة الثالثة والعشرون -
الاثنين (19) كانون الثاني 2026

www.almadasupplements.com

"22عاماً من التعبير الحر والمسؤولية الوطنية"

ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون

طبعت بمطابع مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون